الواعظ الضرير !..

للشيخ حسن عبد العزيز الدالى

كان ذلك منذ ثلاثة أشهر ، وكان المطر غزيراً ، والبرد قارساً وأزقة القرية مملوءة بالأوحال ، وقد لاذ أغلب الأهلين إلى دورهم طلباً للدفء ، وإذا بشيخ وقور مكفوف البصر تقوده ابنته وهى فى العاشرة من عمرها ، عليه مهابة وله جلال ، يخب فى جبته وقفطانه وقد بلل المطر ثيابه فأصبح كالقاضى الذى قيل فيه :

وسخ الثوب والعمامة والبر ذون والوجه والقفا والغلام

دخل علينا فحييناه وأدفأناه ، ثم قال :

شكراً ومعذرة يا سادة إذا كانت وظيفتى غير منسجمة مع حالتى ، وكان عملى شاقاً مرهقاً ، فإن كثرة العيال ، والحاجة إلى العيش تجعل الرجل يركب الصعب . وأنا مكلف برسالة دينية يجب أن أؤديها مهما كان الثمن .

أثبتونى فى دفتر ١٤ وبلغونى المسجد ... أنا واعظ المركز ...

ثم أدى رسالته وانقلب إلى أهله .

وفى هذا الأسبوع ، دخل الشيخ علينا يتفصد وجهه عرقاً وينوس برأسه من الحر ؛ فالشيخ ربع القامة ، شحيم الجسم ، وقد افتر ثغره عن بسمة لطيفة ، هى بسمة الرضاء بالقضاء ، حدثناه وحدثنا ، فكان مما قال إنه فى هذه السفرة عدم الرفيق فضل الطريق ، بعد أن نزل من السيارة العامة ، وكان لا بد من أن يجتاز الترعة التى اعترضت طريقه ، فخلع سراويله واجتازها وحمد الله على النجاة من الغرق . ثم إنه بالأمس القريب كان يؤدى رسالته فى قرية أخرى ، فأشلت الأطفال كلابها عليه ، فمزقت ثيابه وخدشت إهابه .

وفى ذات مرة نبه السائق أن ينزله أمام قرية كذا ، فأنزله خارج حدود دائرته فحمد الله وشكره على أنه لم يصب بمكروه !

يا سبحان الله ! ما هكذا يكون الاختيار يا إدارة الوعظ والإرشاد ؟ وما هكذا يكون الوضع السليم يا وزارة الداخلية !

إذا كان ولا بد أن يكون هذا العالم الجليل فى سلك الوعظ والإرشاد ، لذلاقة لسانه وقوة بيانه ، وعظيم إعانه ، فألحقوه بمنطقة فى مدينة يطمئن فيها على نفسه ، ويستطيع أن يباشر مصلحة أهله ويأمن فيها على كرامته ، فلا يجتاز ترعة ، ولا تهرّه الكلاب ولا يضل الطريق ، حتى يخرج إلى دائرة أخرى ، وهناك يكفيه مؤنة هذا العناء قائد صغير لا يكلفه غير دراهم معدودة . إن ما يقوم به فضيلة الشيخ المكفوف ، من وعظ وإرشاد بالقرى فى يوم كامل يقوم به فضيلة الشيخ البصير فى نصف يوم مع الراحة التامة والكرامة الموفورة .

يا أولى الأمر : انقذوا أمثال هؤلاء المكفوفين من عناء هذا العمل ، فالميدان واسع ، والنقل سهل ، والثواب من الله عظيم ، وإن كانت الحكمة فى تعيين المكفوفين للوعظ والإرشاد أن يعظوا الرجال والنساء ، فما فى الريف نساء يجتمعن لسماع الوعظ ؛ وإن كان فمن وراء حجاب .

حبذا لو فكرت وزارة الشئون مع وزارة الداخلية تفكيراً جدياً فى عمم الإذاعة بالريف ، وجعلت للوعظ نصيباً من الإذاعة كل أسبوع ، فإن ذلك يكون أجدى وأصلح وأوفر . اذهبوا مشكورين يا أولى الأمر بهؤلاء الوعاظ إلى المساجد المغلقة والمهدمة فافتحوها وشيدوها .

اذهبوا بهم إلى التدريس بالمعاهد والوعظ بالسجون العمومية والفرعية . أفسحوا لهم المجال بالمحاكم الشرعية والمحاماة : إنكم إن فعلتم ذلك فقد خطوتم بنا إلى الأمام ، وخففتم العبء عن هؤلاء المكفوفين الكرام . ولعلنا نسمع قريباً أن وزارة الشئون قد أخذت بيد أمثال فضيلة واعظ مركز طلخا المكفوف البصر وأجلسته بدار الإذاعة ليلقى محاضراته الدينية فى هدوء واطمئنان بعد أن تعمم الإذاعة بالريف . فيعم النفع ويسلم الوضع ؛ ويطمئن الشيخ ... ليت ... وليت !

حسن عبد العزيز الدالى
عمدة كفر دميرة القديم

إليهم ، فكانت المناظر متصلة بين قزوين وواسط ، وكان قزوين ثغرا حينئذ ...

***

سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزى : قال — عمر بن عبد العزيز — : ما حسدت الحجاج على شىء حسدى إياه على حبه القرآن وإعطائه أهله